الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

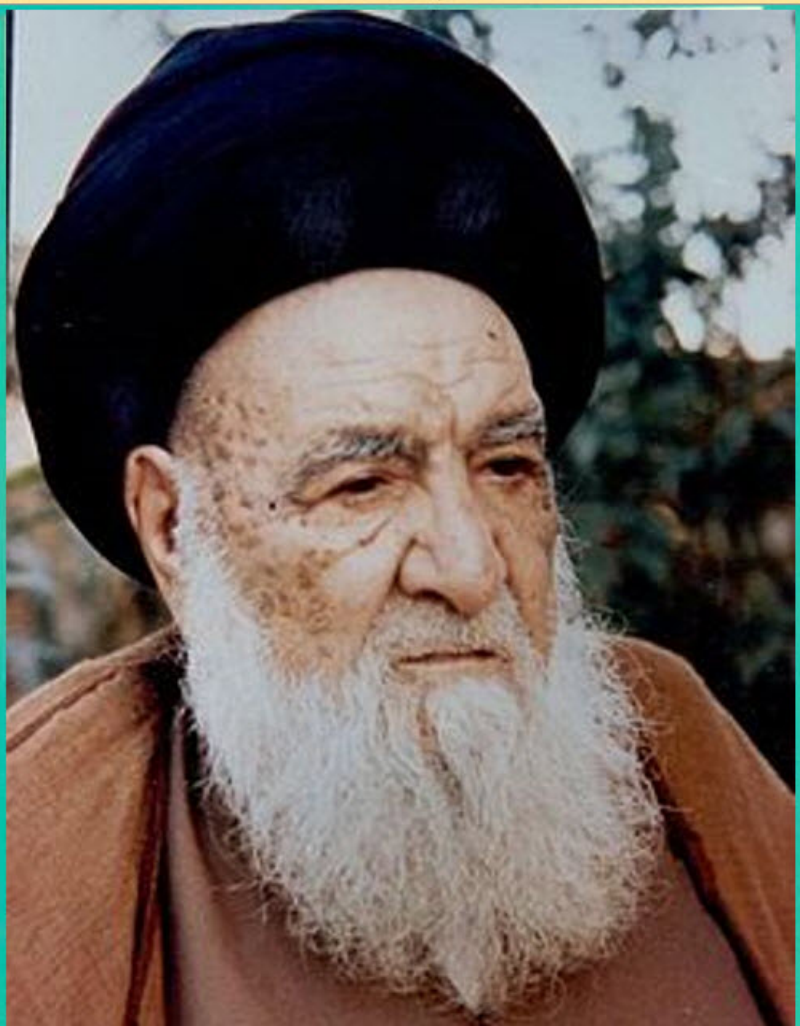

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

في رحاب الامام الخوئي
نهجه الفكري التوفيقي وطريقته في معالجة الامور الاجتماعية

● الشيخ سليمان المدني

ولد آية الله ـ العظمى الاستاذ أبو القاسم الخوئي في قرية خوي إحدى قرى أذربيجان الغربية، من أسرة علمية تنحدر من أصل عربي، فنسبه الشريف يتصل بالبيت النبوي الطاهر، ولا أريد في هذه العجالة أن أتكلم عن دراسته أو أساتذته أو طلابه، أو مؤلفاته فقد تكلفت كتب التراجم والسير التي تعرضت له بعرض كل ذلك ومن أحب معرفتها فليرجع إلى هذه المصادر. كما لا أريد أن أتكلم عن علمه وفضله، فأنا أقل من أن ألم بهذا الجانب، وهو غني بشهرته من أن يُعرف للجمهور، بل أقول إنه أتعب حاسديه وأضداده الذين بذلوا كل وسعهم في النيل من درجته العلمية او مكانته الدينية. وسأقصر كلامي عن الاستاذ الأكبر قدس الله نفسه الزكية عن جانبين:

١ ـ طريقته في معالجة الأمور الاجتماعية.

٢ ـ نهجه الفكري التوفيقي في الناحية العلمية.

أولاً ـ الناحية الاجتماعية:

دخلت النجف الأشرف للدراسة في أول مرة عام ١٣٧٩ هجرية المصادف عام ١٩٥٩ الميلادي، ولم أسمع عن الإمام الراحل إلا الشيء اليسير.

في ذلك الوقت كان العراق يعيش حالة اضطراب سياسي بعد الثورة التي قام بها الجيش العراقي ضد حكم الأشراف في بغداد تلك الثورة التي سرقها من أصحابها عبد الكريم قاسم. كانت الأحزاب الشيوعية تحاول جهدها الاستيلاء على الحكم مستغلة كون عبد الكريم قاسم ليست له عصبية تحميه لا من الشعب ولا من حزب من الأحزاب، فكان الصراع في اماكن كثيرة من العراق صراعاً دموياً أزهقت فيه الأنفس، ولم يتورع الشيوعيون حتى من قتل الأطفال والعجائز.

لكن الحالة في كثير من المدن كانت مستقرة وكان الأمن فيها هو السائد، ومن هذه المدن مدينة النجف الأشرف فلم يحصل فيها من الاستفزازات إلا الشيء اليسير مقارنة بغيرها من المدن العراقية. فلم تتأثر الدراسة في الحوزة العلمية بهذه الأعمال، وكان صراع الشيوعيون مع غيرهم من الأحزاب للتسلل في الدولة والسيطرة على السلطة يشغلهم عن التوجه إلى المساس بالحوزة العلمية في النجف الأشرف

لا أقول انه لم تكن هناك مضايقات تحصل لبعض الأفراد او الشخصيات، لكن ذلك يكون على نحو قضايا فردية ولا علاقة للسلطة بها، وإن كانت هذه الأعمال تدعم من قبل بعض مسئولي الأمن في الدولة.

ابتدأت الحضور في مجلس الإمام الراحل في عام ١٣٨٢ هجرية لأستمع إلى بحثه على كفاية الأصول، وكان هذا

البحث المقام في مسجد الخضراء آنذاك مكتظاً بالفضلاء من العلماء حتى كدت أن أترك البحث خجلاً من وضع نفسي في مصاف هؤلاء الأفاضل لولا تشجيع المرحوم السيد علي السيد ابراهيم كمال الدين الذي كان في النجف الأشرف بعد انحلال هيئة الاتحاد الوطني في البحرين.

في هذا العام حصل شيئان لهما الأثر البالغ على الحياة العلمية والسياسية في كل من العراق وايران.

صدر في العراق قانونان أحدهما يتعلق بالملكية الفردية هو قانون الاصلاح الزراعي الذي بموجبه وضعت الدولة يدها على الاراضي الزراعية، بحجة مكافحة الإقطاع، والثاني يتعلق بتنظيم الأسرة وانتقال الإرث ويعرف بقانون الاحوال الشخصية الذي ساوى فيه الواضع بين الذكر والانثى في الميراث وحظر الزواج بأكثر من واحدة، وليس هذا فقط هو ما يمس الحكم الشرعي في هذا القانون بل هذا كان أظهر ما فيه.

والحق أن الذي مكن الشيوعيين والعلمانيين بصورة عامة من إصدار هذا القانون سكوت اهل العراق على وضع قانون للأحوال الشخصية، فمن طبيعة أعداء الإسلام انهم لا يظهرون وجوههم دفعة واحدة بل يعملون بالتدريج والخطوة الاولى عندهم أن يوجد النص القانوني لأنه متى ما وجد النص فإن أمر تعديله وتغييره يكون بيدهم فلا يهم أن يكون النص في البداية مطابقاً للحكم الشرعي طالما أن الوضعيين هم المهيمنون والمسيطرون على مراكز الدولة والتي من ضمنها الدوائر المسئولة عن التقنين.

على أي حال كان صدور هذين القانونين بمثابة الشرارة التي أورت نار الصراع بين الدولة والحوزة العلمية في العراق.

وفي هذه الفترات بالذات صدر في ايران قانونان مشابهان هما قانون الاحوال الشخصية وقانون الثورة البيضاء (إنقلاب سفيد) وقانون ثالث يجعل الشاه بموجبه عدم مؤاخذة الأمريكي على أي جرم أو مخالفة داخل ايران، بل يعطي كل الامريكيين حصان خاصة تجاه المواطن الايراني.

والحقيقة ان الصراع بين الحوزة العلمية في قم وبين نظام آل بهلوي كان قديم الجذور بل من اول يوم جاء فيه آل بهلوي الى الحكم، لكنه كان صراعاً تحت التراب ولم يكن يطفو الى السطح إلا في أحوال عابرة. غير أن محمد رضا بهلوي قد زاد الأمور تعقيداً بفسحه الطريق للبابيين والبهائيين بالتسلل إلى مراكز الدولة وإعطائهم الصلاحية للتقنين للمسلمين(*) واعترافه بإسرائيل، كل ذلك ألهب الصراع داخل ايران، فقد شعر المسلمون أنهم يكونون أو لا يكونون.

هذان الحدثان المتزامنان في كل من العراق وايران أخرجا طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة عن الصمت، وقد تباينت ردود الفعل واختلفت وجهات النظر في أساليب

(*) وجهة نظري الخاصة أن مؤسس أسرة آل بهلوي ليس من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وإنما من الاسماعيلية النزارية (الآغاخانية) للتثبت من ذلك راجع مذكرات علي آغا خان.

العمل، في مكافحة هذه الامور، بالاضافة الى ما أفرزه انقلاب الجيش العراقي عام ٥٨ من أوضاع سياسية واجتماعية مرة في العراق.

وعندما أقول اختلفت الأساليب فإن ذلك يعني أن الفقهاء اختلفوا فيما هو الموقف الشرعي الذي يجب اتخاذه في اللحظة الراهنة، ذلك ان الفقهاء يختلفون عن السياسيين فهم لا يتخذون الموقف أو الاسلوب إلا تبعاً لما يلزم به الدليل الشرعي التي قامت حجيته عند الفقيه.

كان موقف الاستاذ هو معالجة الأمر بالحكمة والتأني والنصح للدولة بالعدول عما تريد وليس بإلهاب المشاعر وتأزيم الامور دفعة واحدة، وترك الباقي على الناس فلهم ان يتخذوا الموقف الذي يرونه محققاً للمصلحة الدينية.

هذا الموقف جر على السيد قدس سره كثيراً من المشاكل مع بعض طلبة الحوزة سواء في النجف أو في قم ولا أنسى وقوف جماعة من الايرانيين انذاك مطالبين السيد الاستاذ بكلمته الحاسمة، لكنه بقي مصراً على موقفه قائلاً لهم إن الكلمة الحاسمة ستقال في وقتها المناسب.

وهذا الموقف لم يكن ليثير الثوريين من الطلبة الايرانيين ضد الاستاذ وحسب، ولكنه أثار الثوريين من العراقيين حيث جعلهم يتخذون منه قدس سره مواقف عدائية.

وما دمت عند هذه النقطة يلزم أن أبين أن كثيراً من الناس لا من الشباب المراهق وحسب بل حتى من طلبة العلم مع الأسف مع أنهم يعتقدون بأن القيادة ينبغي أن تسلم للعلماء ويريدون من العلماء أن يتحركوا ويتصرفوا حسب ما يرغبون بحيث يكونون في الواقع هم القادة الذين يصدرون للعلماء الاوامر بوجوب الحركة أو السكون وكيفية هذه الحركة. ناسين أو متناسين أن هذا هو التناقض بين القول والعمل، فهم يضعون لأنفسهم صورة العالم القائد وطريقة تحركه في معالجة الأمور والاساليب التي يتخذها في المواقف المختلفة التي عليها اتباعها ثم يطبقون ذلك على الخارج، والويل لمن كان حكمه الشرعي من العلماء مخالفاً لذلك التصور الذي وضعوه لأنفسهم. إضافة الى أنهم لا يمنعهم ايمانهم من النيل من كل من اختلف معهم في وجهة النظر.

على اي حال جعل هذا الموقف الاستاذ في حرج شديد تجاه الشارع إن في العراق او في ايران، ولم يتورع بعض الناس من العمل ضده ونيله بألفاظ السوء. وإن كان هذا النيل لم يسلم منه بعض العلماء كالسيد محسن الحكيم قدس سره الشريف. لكن ما أصاب الأستاذ من ذلك كان يفوق ما أصاب غيره.

بعد سقوط عبد الكريم قاسم جاء دور البعثيين الاول بوجه غير بعثي هو وجه عبد السلام عارف، وفي البداية حاول البعثيون أن يستميلوا الإسلاميين الى جانبهم ورفعوا شعار العروبة والإسلام أقنومان في جسد واحد.

وهذا الشعار ذاته يكشف على ان هذا الحزب لا علاقة له بالاسلام مطلقاً، وإنما يكشف عن روحية صليبية اكتسبتها الفلسفة البعثية من مؤسسها الصليبي ميشيل عفلق.

لكن أيام البعثيين لم تستمر وانقضّ عليهم عبد السلام الذي كان يرغب في التفرد بالسلطة، ولم تكن أيامه أيام راحة للعراقيين لكنها لم تتميز بالعنف، وكان

الرجل مشغولاً بإرساء قواعد الحكم الطائفي في العراق وتصفية المراكز العليا في الجيش لا من خصومه البعثيين ولكن من الشيعة، حتى ذهب قتيلاً في مؤامرة دبرها عليه البعثيون. وجاء بعده أخوه عبد الرحمن الذي لم يكن يحلم يوماً أن يحكم العراق، ولم تكن نفسيته مؤهلة لذلك، مما أدى أن يتغلب عليه البعثيون في فترة وجيزة.

عاد البعثيون الى الحكم في العراق في قطار أنجلو أمريكي كما يقولون هم أنفسهم عام ١٩٦٨، وفي هذه المرة كانوا قد حزموا أمرهم على تصفية كل القوى غير البعثية في العراق سواء منها القومية أو الاسلامية بل كل ما يحتملون منه المعارضة مستعملين ما أطلقوا عليه مصطلح العنف الثوري.